إسلام آباد تفقد السيطرة على ٨٠٪ من وادى سوات

نشرت صحيفة «واشنطن تايمز» الأمريكية تقريراً يفيد بأن حكومة باكستان فقدت السيطرة على معظم انحاء وادى سوات لصالح حركة طالبان، وسط مخاوف من انتشار نفوذها إلى مدن مجاورة مثل «بيشاور»، و«بونر»، وقد فر ما يقرب من نصف مليون شخص من محل إقامتهم هربا من موجة العنف التى تشهدها المنطقة، إلا أن التقرير نقل عن لسان أحد المسئولين فى الحكومة الباكستانية انه يتم الاستعداد لشن حملة ضد ميليشيات الوادى التى يقودها الملا فضل الله.

إنها حقا أمة عربية واحدة

الرئيس الصومالى الجديد .. يواجه - كالعادة العربية والإسلامية - مشكلة المصالحة الوطنية!

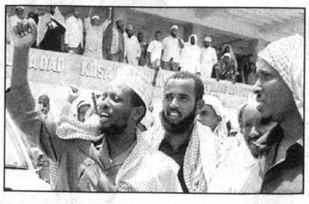

الشيخ شريف شيخ أحمد وسط انصاره

حسن طاهر أويس

الشيخ شريف

■ الولايات المتحدة وأثيوبيا تدعمان الرئيس «شريف شيخ أحمد» باعتباره إسلاميا معتدلا .. والفصائل الإسلامية الأخرى تتهمه بالعمالة للخونة والصليبيين ■ الفصائل الإسلامية المسلحة تسيطر على المواقع التى تخليها القوات الإثيوبية المنسحبة و٨٠٪ من الصومال تحت سيطرة الميليشيات ■ حركة شباب المجاهدين هى أقوى الفصائل المعارضة لحكم «شريف شيخ» وتضم ٧ آلاف مقاتل تدربوا فى اريتريا على أيدى تنظيم القاعدة.

أمنية النجار

أسفرت الانتخابات الرئاسية الصومالية التى عقدت فى العاصمة جيبوتى فى اقتراع سرى شارك فيه أعضاء البرلمان الصومالى يوم السبت الماضى عن انتخاب الشيخ شريف شيخ أحمد رئيساً للبلاد وسط تزايد الخلاف بين الفصائل الإسلامية التى تسيطر على البلاد منذ استقالة الرئيس السابق عبد الله يوسف أحمد فى ديسمبر الماضى. الانتخابات الرئاسية تنافس فيها ١٦ مرشحاً أبرزهم رئيس الحكومة الحالى نور حسن حسين، ورئيس الحكومة السابق على محمد جيدى، غير أن التوقعات كانت قد أشارت إلى تزايد فرص الشيخ شريف شيخ احمد للفوز خاصة بعد حصوله على تأييد كل من الولايات المتحدة و إثيوبيا على أساس انه يمثل ابرز القادة الإسلاميين المعتدلين. وتمكن الشيخ شريف الشيخ أحمد من الفوز بسهولة بالاغلبية بواقع ٢١٣ صوتاً فى الجولة الثانية من التصويت بعد أن انسحب رئيس الوزراء الأسبق نور حسن حسين من المنافسة.

وأدى الرئيس الصومالى الجديد اليمين الدستورى متعهداً بالعمل على احلال الأمن و الاستقرار فى القرن الإفريقى، و من المتوقع أن ينتقل البرلمان الصومالى للعاصمة مقديشو خلال الأيام المقبلة بعد أن حال العصيان المدنى بها دون توفير الإجراءات الأمنية اللازمة لأعضاء البرلمان. يذكرأن البرلمان الصومالى المجتمع فى جيبوتى قد قام بزيادة عدد أعضائه من ٢٧٥ إلى ٥٥٠، ودعا مائتين من أعضاء المعارضة الإسلامية إلى الانضمام للمجلس.

انتصار سياسى

الشيخ شريف احمد ولد عام ١٩٦٦ فى مدينة مهداى بإقليم شبيلى الوسطى شمال مقديشو، وينحدر من قبيلة أبقال إحدى الفصائل الرئيسية لقبيلة الهوية الكبرى وينتمى إلى أسرة دينية وهو أحد أحفاد الشيخ موسى العقيلى مؤسس الطريقة الإدريسية فى الصومال. أنهى تعليمه الجامعى بليبيا وعمل مدرساً للجغرافيا فى العاصمة مقديشو إلى ان انشأ أول محكمة شرعية بالعاصمة عام ٢٠٠٢ بهدف التصدى لأمراء الحرب، و أسس جمعية الشرق للتراث والثقافة. وفى عام ٢٠٠٣، تم تأسيس اتحاد المحاكم الإسلامية و اختير شريف شيخ احمد لرئاسة مجلسه التنفيذى بينما اختير الشيخ حسن طاهر أويس كرئيس لمجلس الشورى. وسرعان ما دانت سيطرة العاصمة لاتحاد المحاكم الإسلامية بعد نجاحها فى القضاء على سيطرة أمراء الحرب. لكن قوة اتحاد المحاكم الإسلامية تراجعت بعد زحف القوات الإثيوبية إلى الصومال بتفويض من حكومة الرئيس عبد الله يوسف الانتقالية عام ٢٠٠٧.

وكان الشيخ شريف قد اجتذب تأييد الأمم المتحدة والولايات المتحدة مؤخراً كرجل معتدل يمكن أن يساهم فى إيجاد حل للمشكلة الصومالية، وتعتبر اتفاقية جيبوتى التى وقعها مع الحكومة الانتقالية برعاية امريكية بمثابة انتصار سياسى له لنجاحه فى التوصل إلى مفاوضات كان من شأنها سجب إثيوبيا لقواتها من الصومال. وبموجب اتفاق جيبوتى، تقرر إنشاء قوة عسكرية مؤلفة من ١٠ آلاف عنصر من القوات الحكومية وقوات حفظ السلام الإفريقية لتتولى زمام الأمور بعد الانسحاب الإثيوبى و هو ما ترفضه العديد من الفصائل الإسلامية على انه تدخل أجنبى.

و أثار الشيخ شريف شيخ أحمد انتقادات فصائل المعارضة الإسلامية بسبب تعاونه مع الحكومة الانتقالية و إعلانه عن استعداده للعمل مع القوات الإفريقية لإحلال السلام و المصالحة الوطنية. وكان ترشيحه للانتخابات الرئاسية مثار سخط العديد من الفصائل الإسلامية التى اتهمته بالعمالة مع "الخونة و الصليبيين". غير أن الشيخ حسن طاهر أويس، رئيس تحالف إعادة تحرير الصومال جناح أسمرة، أعلن أنه لا يؤيد و لا يعارض ترشيح الشيخ شريف شيخ أحمد، و أضاف "أنا شخصياً لا أناضل لأجل رئاسة أو لأجل منصب، بل أفضل أن أكون بعيدا عن أى مناصب ما دام المبدأ مستقيماً. نحن نرفض المبادئ التى يقوم عليها هذا الترشح وهذا البرلمان وهذه الحكومة، وإن كنا لا نمانع الأشخاص بذاتها".

تفكك المعارضة الإسلامية

المشهد الصومالى غلب عليه و بقوة فى الآونة الأخيرة سيطرة واسعة من الإسلاميين سواء على الصعيد السياسى أو العسكرى. فمنذ إعلان القوات الإثيوبية انسحابها من الأراضى الصومالية، قامت الفصائل الإسلامية المسلحة بالسيطرة على المواقع التى تخليها و أعلنت مؤخراً سيطرتها على مدينة بيداوا مقر البرلمان الصومالى و أعلنت حركة شباب المجاهدين تطبيق الشريعة و الحكم الإسلامى فى المدينة لتصبح بذلك أكثر من ٨٠ بالمائة من الأراضى الصومالية تحت سيطرة الميليشيات و الفصائل الإسلامية المختلفة التى تنقسم إلى أربعة فصائل إسلامية معارضة هى المحاكم الإسلامية جناح أسمرة، والجبهة الإسلامية، ومعسكر رأس كامبونى، ومعسكر عمر الفاروق، وتتفق هذه الفصائل فيما بينها على نعت الحكومة الصومالية بالمرتدة و على ضرورة مقاتلة قوات الاتحاد الإفريقى، وكل أشكال التدخل الغربى فى الصومال. الخلافات الحادة التى نشأت بين الفصائل الإسلامية الصومالية زادت من تعقيد فرص المصالحة الوطنية خاصة بعد أدت اتفاقية جيبوتى بين التحالف من أجل تحرير الصومال جناح جيبوتى بقيادة الشيخ شريف شيخ أحمد والحكومة الانتقالية إلى المزيد من الخلافات بين الجبهات الإسلامية فى الصومال بعدما رفضت بعض الفصائل الإسلامية وأبرزها التحالف من أجل تحرير الصومال جناح أسمرة بقيادة الشيخ حسن طاهر أويس نتائج مؤتمر المصالحة الصومالية المنعقد فى جيبوتى برعاية الأمم المتحدة. وجاء هذا التفكك الداخلى لعناصر المحاكم الإسلامية بعد خروجه على إقالتهم الشيخ شريف شيخ أحمد و اتهامهم لهم بالخيانة و التواطؤ مع الحكومة، وقال الناطق باسم المحاكم الإسلامية المستقلة محمد آدم كوفى إن تنظيم المحاكم المستقلة وحركة شباب المجاهدين والجبهة الإسلامية يعملون على توحيد قواتهم من أجل تشكيل تنظيم موحد.

حركة شباب المجاهدين

غير أن الملحوظ هو خروج حركة شباب المجاهدين السلفية عن سيطرة كل من الحكومة ومساعى المصالحة بقيادة شريف شيخ أحمد. وتعود جذور حركة الشباب إلى تنظيم كان اسمه "الاتحاد الإسلامى"، وهو التنظيم الإسلامى الوحيد الذى كان له جناح عسكرى مقاتل بعد انهيار الحكم المركزى فى الصومال واندلاع الحرب الأهلية فى عام ١٩٩١ بعد سقوط نظام الرئيس الصومالى محمد سياد برى. وتحول اسم هذا التنظيم إلى "جماعة الاعتصام بالكتاب والسنة" بعد اندماجه مع تنظيمات إسلامية أخرى فى الصومال عام ١٩٩٦، وفى عام ٢٠٠٦ قررت جماعة الاعتصام إلقاء السلاح من تلقاء نفسها، والدخول فى العمل الدعوى وتفكيك المعسكرات، وقامت بتسريح مقاتليها الذين كونوا تنظيما خاصا بهم تحت اسم "شباب المجاهدين" وتم فصلهم من جماعة الاعتصام. و ظلت الحركة توصف بأنها الجناح العسكرى للمحاكم الإسلامية بعد إنشائها حتى هربت معظم قياداتها خارج الصومال، وتحالفها مع المعارضة الصومالية فى مؤتمر أسمرا فى سبتمبر ٢٠٠٧ وانشقاقها عن المحاكم متهمة إياها بالتخلى عن الجهاد فى سبيل الله. وظلت الحركة بقيادة أدن حاشى عيرو المكنى أبو حسين الأنصارى إلى أن قتل فى قصف جوى أمريكى فى مايو من العام الماضى. ويقدر عدد عناصر الحركة بنحو ٧٠٠٠ مقاتل، ويعتقد أنهم يتلقون تدريبهم فى إريتريا و على أيدى تنظيم القاعدة فى أفغانستان. وتصنفها وزارة الخارجية الأمريكية بأنها حركة إرهابية تنتمى لتنظيم القاعدة، وأعلنت تجميد أموالها فى الولايات المتحدة. وبعد مصرع أبو حسين الأنصارى، عينت الحركة مختار عبد الرحمن المكنى أبو الزبير أميراً لها، و يعتقد انه تلقى تدريبات عسكرية مطلع التسعينيات فى معسكرات تابعة لتنظيم القاعدة فى الأراضى الأفغانية.

وتعليقاً على انشقاق الحركة عن المحاكم الإسلامية، قال المتحدث باسمها مختار روبو أبو منصور أن المحاكم لم تعد تنظيماً كما كانت، و أضاف "عملياً هذا التنظيم غير موجود وإنما انضم إلى تحالف المعارضة الذى ضم البرلمانيين والعلمانيين وغيرهم، ونحن رايتنا واضحة، وهى الجهاد فى سبيل الله". الرئيس الصومالى الجديد أمامه العديد من العقبات فى ظل تدهور الأوضاع الأمنية فى البلاد التى يعانى أكثر من نصف سكانها من نقص الغذاء، والفقر، و أهم هذه العقبات تتمثل فى تحييد تنظيم شباب المجاهدين المنشق عن اتحاد المحاكم الإسلامية ولم شمل الفصائل الإسلامية المختلفة ووقف الاقتتال بينها و خاصة القتال الدائر بين تنظيم شباب المجاهدين و حركة اهل السنة و الجماعة. و من ناحية أخرى، سيتعين على شريف شيخ أحمد فرض هيبة الدولة والتفاوض مع جمهورية أرض الصومال التى أعلنت انفصالها عن الصومال من جانب واحد. برنامج الشيخ شريف شيخ أحمد شعاره "المصالحة الوطنية"، و كل المؤشرات تشير إلى جديته فى العمل على توحيد صفوف الفصائل المختلفة غير أن التحدى الاكبر سيظل فى إمكانية تحقيق نوع من التقارب مع حركة شباب المجاهدين التى باتت شبه مسيطرة على معظم المدن الصومالية و التى تحظى بتأييد جناح أسمرة المعارض لمبادئ شريف شيخ أحمد و تصر على اتهامها له بالتخلى عن المبادئ التأسيسية للمحاكم الإسلامية و السعى وراء المناصب السياسية.

تأملات

السيد يس

أظهر الخطاب السياسى لممثلى تيار الإسلام السياسى فى مصر والعالم العربى بوجه عام جهلا عميقا لأساسيات الأمن القومى المصرى من ناحية، واستهانة شديدة بأرواح شهداء الشعب الفلسطينى الذين سقطوا فى الحرب الإجرامية التى شنتها الدولة الإسرائيلية العنصرية، والتى هى أشبه ما تكون بحرب إبادة، يحرمها القانون الدولى العام، ويستحق قادة إسرائيل ممن شنوا هذه الحرب أو شاركوا فى إدارتها أن يحاكموا أمام المحكمة الجنائية الدولية، التى يبدو أنها لم تشكل إلا لمحاكمة من يرتكبون مخالفات لحقوق الإنسان من دول العالم الثالث ومعنى ذلك أن القادة السياسيين الأمريكيين الذى ارتكبوا جرائم حرب فى العراق وأفغانستان لم يمثلوا أبدا لا هم ولا القادة الإسرائيليين أمام المحكمة وكأن لهم حصانة خاصة بهم!

وقد أدهشنى للغاية ما كتبه أحد أصوات الإسلام السياسى من أن واجب الحكومة المصرية كان إمداد أشقائنا فى غزة بالسلاح، وأن نقوصها عن ذلك عمل من أعمال الجبن.

كما أن التذرع بأن هناك اتفاقيات سلام أو معاهدات بين مصر وإسرائيل كلام لا معنى له! وتساءل قائلا هل هناك معاهدات تدوم للأبد؟ ولماذا لا تغير المعاهدة أو يتم تجميدها؟

وزعم أن ذلك يتفق مع قواعد القانون الدولى العام. وصعد صاحب هذا الرأى من هجومه على موقف الحكومة المصرية، واستنكر بعض تصريحات المسئولين بأن مصر لن تستدرج لحرب لم تعد نفسها لها، وأن الدولة هى بحساباتها الدقيقة التى تقرر متى تدخل أو لا تدخل حربا من الحروب.

أردت أن ألخص أهم أفكار هذا الرأى المتطرف الذى يجهل أو يتجاهل للأسف الشديد عكس ما يؤكده- قواعد القانون الدولى العام.

الا يدرى أن مصر لو قدمت السلاح إلى الفلسطينيين فى غزة فقد- وفقا لقواعد القانون الدولى- خرقت معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية، وقدمت الذريعة لإسرائيل لشن حرب على مصر؟

ويتساءل زاعما أن الناس «أن ناس لا يدرى أحد» يتساءلون عن الوقت المناسب للحرب فى نظر الحكومة المصرية، وهل هناك توقيت وضعته هذه الحكومة للحرب ولا تستطيع أن تحارب إلا فيه، وأى وقت هذا فى الصيف أم فى الشتاء؟

وبغض النظر عن لهجة السخرية المتعمدة فى هذه التساؤلات، فهى تهون تهوينا شديدا من قرار شن الحرب بدون سبب واضح وبغير استعداد حقيقى. ونسى المنادون - هكذا بسذاجة شديدة - بالحرب ضد إسرائيل مناصرة للأشقاء فى غزة، خبرة هزيمة يونيو ١٩٦٧، من ناحية، وانتصار حرب أكتوبر ١٩٧٣ من ناحية أخرى.

هزيمة يونيو ١٩٦٧ مثال نموذجى للتهوين من شأن الحرب ضد إسرائيل، والذى أدى إلى اندفاع القيادة السياسية المصرية فى حشد القوات فى سيناء بغير خطة عسكرية، وسحب قوات الأمم المتحدة وإغلاق المضيق وهكذا توافرت بالكامل شروط الهزيمة بالإضافة إلى ما حدث فى حرب ١٩٧٣، فهو تعبير عن موقف متطرف شبيه بتصريح «مشعل» سنقاوم حتى لو أبيدت غزة بالكامل!

وقى الله الشعب الفلسطينى المناضل من أمثال هذه الصيحات المتطرفة!.

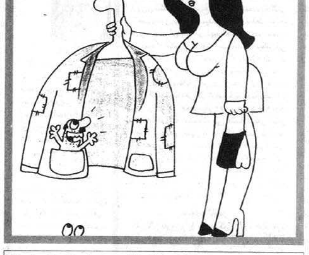
بجاليري «ريدة» معرض بعنوان كراكيب

أخبارهم على وجوههم

■ مدير إدارة السجون بالجزائر اعلن أن ٢٠ الف سجين يتابعون دراستهم خلال فترة قضاء عقوبتهم، وأضاف أن ١٤ الف سجين آخر التحقوا بالتدريب المهنى لتعلم مهنة تضمن لهم ايجاد فرصة عمل عقب الخروج من السجن.

البرادعى

■ المتمردون الإسلاميون الذين سيطروا على مدينة «بيداوة»، بالصومال، والتى تضم مقر الحكومة الانتقالية والبرلمان، أعلنوا أنهم بدأوا بتطبيق الشريعة الإسلامية فى المدينة، وقال المتحدث باسم حركة الشباب الإسلامية التى سيطرت على المدينة بعد انسحاب القوات الاثيوبية، إن الحركة لن تعترف بحكومة صومالية لا تطبق الشريعة الإسلامية، ولن يقبلوا بأى دستور وضعى، الاتحاد الأفريقى أعلن أن أثيوبيا قد ترسل قواتها مرة أخرى للصومال فى حال تصاعد قوة المسلحين الإسلاميين أكثر مما ينبغى، وكانت أديس أبابا أعلنت العام الماضى، أنها ستسحب كل قواتها من الصومال مطلع العام الحالى منهية بذلك دعمها للحكومة الانتقالية فى الصومال.

■ مركز الثقافة السينمائية التابع للمركز القومى للسينما يعرض غدا الفيلم الألمانى «معجزة برن» الذى يتناول الانتصار الذى حققه الفريق الألمانى عام ١٩٥٤ فى بطولة كأس العالم لكرة القدم، والذى كان له الأثر فى انتقال الشعب الألمانى من حالة الهزيمة والحصار إلى التفوق والتقدم.

■ المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية د.محمد البرادعى الغى مقابلات كان يفترض أن تجريها معه هيئة الإذاعة البريطانية «بى بى سى» احتجاجا على رفضها بث نداء لجمع التبرعات من أجل ضحايا العدوان الإسرائيلى على غزة، وقالت المتحدثة باسم الوكالة، إن البرادعى يرى القرار مخالفا لأبسط قواعد الإنسانية، وهى مساعدة ضحايا نزاع بغض النظر عن انتمائهم لجهة محقة أو مخطئة.

BBC

تعليقا على ما يحدث

كراهية إسرائيل على طريقة شعبولا

موسى

■ أغنية «باكره إسرائيل وأحب عمرو موسى» والتى وزع شريطها أكثر من ستة ملايين نسخة قالت عنها CNN إنها ساهمت فى تنمية كراهية إسرائيل فى نفوس العرب!

أحداث غزة

د. مأمون البسيونى

شعبولا

■ لم يكن الصبية الذين اجتمعوا فى معسكرات تدريب الفدائيين لتحرير أرض فلسطين من الغزاة، ولا شباب اليهود الذين أتوا من مختلف البلدان ليستردوا أرض الأجداد، كانوا يدركون أو يتصورون الخلل الذى حل بقوانين توازن الحياة

عرفت "شعبان عبد الرحيم" كما راه أغلبنا، يخرج من الظلام وينتشر ويشتهر، يدور هو ومؤلف أغانيه "إسلام" على ما تتداوله السنة الناس فى الشارع المصرى، سياسيّة كانت أو اجتماعيّة أو نيولوك(تلوين الشعر وارتداء الجينز ، وتفضيل الفتيات لارتداء البنطلون ..). يضع "إسلام" الكلمات وينطلق "شعبان" بألحانه وصوته وحركة ذراعيه. غنّى "انا باكره اسرائيل وبحبّ عمرو موسى" و غنّى عن ازمة العراق ،وذمّ عادة التدخين، وفى معرض غزو العراق، شعبان "لايعرف الدور بكرة بيجى على مين". تضايق على حدّ قوله "لمّا شاف" حادثة اغتيال رئيس الوزراء اللبنانى رفيق الحريرى، سأل عنه فلم يكن يعرفه، فقالوا له : دا كان راجل طيّب ، طلب من "إسلام" أن يكتب له حاجة وغنّى "انا مابحبّش الإرهاب، واقولها من ضميرى.." وربّما يكون الكوبليه التالى من أغنيته "" دا شغل ناس كبيرة، ولازم نعترف ، عايزينا نبقى فى حيرة ولازم نختلف " موحيا لى لكتابة هذه السطور بعيدة ، فكرة الانضمام إلى الكمّ الهائل من السخرية الذى لقيه شعبان عبد الرحيم، من الجمهور والنقّاد وزملائه المطربين والممثّلين. يناظره سمير غانم "أنا مطرب لمّا أغنّى ينقطونى بالدولار، لكن إنت لماتغنّى يرشّوا عليك سولار". لم ينحن "شعبولا" سواء، لأنّه كان "مكوجيّا" يقفز إلى عالم الغناء والتمثيل، بل زاد من مظهره المضحك ولبس الجاكتات المشجّرة، وأربع ساعات فى يد واحدة وأحذية وأحزمة من نفس نوع الجلد ونقشته. وصبهين عن انّ القنوات الفضائيّة، تستضيفه غالبا بغرض الضحك والفرفشة، على منظره ولغة الصنايعيّة التى يتحدّث بها، وأسلوبه المفرط فى "الشعبويّة".

وكيل للحياة

"شعبان" إنسان بسيط لا تشغله معرفة لغز وجوده الإنسانى ، ولد فوجد نفسه هكذا، وغالب الظنّ أنّه لا يعى دوره كعميل للحياة والتاريخ، أو وكيل لهما. ربّما لم يفكّر أو يتناقش مع مؤلّف أغانيه مثلا، حول ماهية القضيّة الفلسطينيّة، منبع معضلات الشرق الأوسط بما فيها احتلال بغداد،وما يتوجّسه خيفة من دور قد يأتى على عواصم أخرى. تتعانق لحظة ظهور "شعبولا" مع ظهور صحف وقنوات وكتّاب واغان وأفلام ونجوم، وسياسات وسياسيين ونظم حكم، واجتماعات مجلس أمن وأمم متّحدة ومؤتمرات ومعاهدات واتّفاقيّات ومبادرات، وتفسيرات دين وفتاوى، ومشايخ سنّة وشيعة، وأحزاب ومجاهدين ومصلحين وانتلجنسيا.. يتابع الجميع دوره المهنى و مصالحه ومطامحه الشخصيّة ايضا، وقد لايدرى الكثيرون او يسعهم الوقت لتدبّر ما يحدث فى النسيج الثقافى. يؤثّرون ويستنفدون مساحة كبيرة من وقت وانشغال الجماهير الشعبيّة التى ستدفع الثمن غاليا. وفى واحد من تصريحاته يقول شعبان عبد الرحيم: إنّه سعيد لانتشار أغنية "باكره إسرائيل" على ألسنة جميع طبقات الشعب المصرى والشعوب العربية خصوصا لدى الطبقات غير المتعلمة أو ذات التعليم المتوسط مثل سائقى سيارات الأجرة والمكوجية فالجميع الآن يرددون "باكره إسرائيل.. شيمون ويا شارون.. وأحب عمرو موسى فى كلامه الموزون". يضيف شعبان عبد الرحيم أنه يغنى منذ فترة، ولكنه لم يشعر بمدى حب الطبقة المثقفة له إلا بعد أغنية "باكره إسرائيل". وفى هذه الإضافة مربط فرس، ما معنى هذه البهجة بإحساسه بحبّ المثقّفين؟ هل هناك إرهاص خفيّ لدى (شعبان) البسيط بتحقيق شىء من عقلنا يتمّ رغما عنّا، فى ضباب أكثر من نصف قرن من تاريخنا المعاصر؟ كيما نعدّ لأنفسنا فرصة لبلوغ نواة لابدّ أن تتكشّف عنها قشور السنين السميكة. هل تنجح الثقافة الوطنيّة فى ابتكار حلولها للإشكاليّات المطروحة أمامها؟ تزيح التقليد والموروث عن نصوصها لتستخلص لنا دورا اكثر وضوحا وفاعليّة. "فينيمونولوجيا الروح" الاسم الذى أطلقه هيجل على مخطوطته الشهيرة (أنهاها فى اكتوبر ١٨٠٦)، حول التجلّيات المتصاعدة والناضجة للعقل البشرى عبر التاريخ منذ أقدم العصور حتّى ظهور هيجل نفسه، لايتقدّم الإنسان دون أشلاء ودموع وقتلى وجرحى، طريق الإنسان دائما نحو تحقيق قفزاته مصبوغ بالدم والفوضى. فى هذا الكتاب يبحث هيجل عن روح الحياة البريئة من كلّ إثم، ولكنّه لم يملك ولا نحن ملكنا حتّى الآن إذ تسقط الأرض فى قبضة الفاتحين ، سوى أن نصير وقد اعترانا اليأس تاجا لعار الطغاة، وإكليل نصر لتطويق عنق إنسان مؤجّل لم يأت بعد! نشدنه وتمنّته الديانات السماويّة، وفلسفة البشر، وآمال النّاس وتعكف علوم هذا العصر على إمكانيّة تحقيقه.

بحب عمرو موسى

أغنية "باكره اسرائيل واحبّ عمرو موسى" والتى وزّع شريطها أكثر من ستّة ملايين نسخة، وقالت عنها محطّة [C.N.N]فى تقرير لها انّها ساهمت فى تنمية كراهية اسرائيل فى نفوس الشعوب العربيّة، شيء جاد له معنى وليس عبثيّا. يحصل فيها بصرف النظر عن وعى شعبان أو الطبقات التى تردّد الأغنية، التجلّى التدريجى وإن فى كلمات بسيطة وتكاد تكون ساذجة، ما أطلقنا عليه اسم الصراع الفلسطينى/ الاسرائيلى لأكثر من ستين سنة. يظهر فى القرن العشرين "بلفور" ليمنح اليهود المشتّتين ماكان قد منحه إله موسى لليهود، شعب الله المختار، خرج مع النبيّ موسى من مصر ، هربا من إيذاء فرعون إلى أرض الميعاد. وجاء فى التوراة (تث: ٨) ادخلوا وتملكوا الأرض التى اقسم الرب لآبائكم ابراهيم واسحاق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم. كما جاء فى القرآن فى (المائدة٢١) «ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين». ظهر بلفور ليحيى ميراثا طويل الأمد، لخلاف تاريخى موضوعه الثانوى يتمحور حول حق وجود الفلسطينيين أو الإسرائيليين على الأرض الممتدة مابين الأردن و لبنان والبحر الميت متجاهلين حق الديناصورات التى سبقتنا فى الحياة على هذه الأرض.

انتبهت لأجد نفسى مندمجا لأخذ دورى فى هذا الصراع على بداية يوم من صيف عام ١٩٤٨،كنت طالبا بالثانوى وعضوا فى جماعة الإخوان المسلمين. بدون إثم ، ويروح شفّافة،أخذنى انبهارى بمنظر أستاذ اللغة العربيّة والدين فى مدرستى يعتلى الاكتاف ويضع يديه على صدغيه ويهتف بكلّ قوّة : حيّ على الجهاد ! كانت الدعوة إلهية مطلقة، علامة من علامات يوم القيامة، اخبرنا بذلك مدرّبنا على استعمال السلاح فى معسكرات تدريب الفدائيين ، لا يأتى يوم القيامة إلاّ ويحارب المسلمون اليهود ! فى التسعينات سأستمع إلى تأصيل للفكرة يقدّمه إمام الدعاة الشيخ متولّى الشعراوى بعمّق مسألة ظهور اسرائيل وكأنّها مشيئة إلهية، كيف بالله عليكم يمكن أن يحارب المسلمون اليهود وهم مشتّتون فى جنبات الأرض؟ كان لابدّ أن يجمعهم وكأنّ اسرائيل وعد حقّ من وعود السماء ! اللغة الإيديولوجيّة للصهيونيّة وهى التى بادرت وابتدأت الهجوم هى تعبير صريح فى الاتّجاه الآخر استحوز على اللاوعى اليهودى، لإتستند إلى تفسير دينى تاريخى فحسب (أجبر (الشعب المختار) اسرائيل على ترك الأرض HaEretzالتى فيها نشأ وتحققت واكتملت صورته الروحانية والدينية وابدع قيمه الثقافية والإنسانية وفيها تبلورت هويته السياسية وأورث العالم أجمع- سفر الأسفار)، بل جاءت معزّزة فى الوقت نفسه لمقاومة الفلسطينيين ومن ورائهم العرب لمشروع استيطانى صهيونى.

غنوا مع شعبان

من دون الخوض فى تفاصيل ماحدث والتى أصبحت معروفة للجميع، لم يكن الصبية الذين اجتمعوا فى معسكرات تدريب الفدائيين لتحرير أرض فلسطين من الغزاة، ولا شباب اليهود الذين أتوا من مختلف البلدان ليستردّوا أرض الأجداد، لا هؤلاء أو هؤلاء كانوا يدركون أو يتصوّرون الخلل الذى حلّ بقوانين توازن الحياة بزرع الصراع الفلسطينى الإسرائيلى، من الأرض إلى المياه إلى الحروب إلى أسلحة الدمار الشامل والقنابل الذريّة. ربّما حوّل هذاالصراع الشرق الأوسط بأكمله إلى أرض تعجّ بالفوضى، فما عاشته أوروبا خلال ثلاثة قرون وهضمته بشكل تدريجى مرحلة بعد مرحلة يعيشه العالم العربى الإسلامى بشكل متسارع إلى حد الذهول! مطلوب منه أن يصبح ديمقراطيا ويحترم حقوق الإنسان ويقضى على التعصب الدينى و الطائفى والاستبداد السياسى ويحقّق السلام، ويكون خاليا من أسلحة الدمار خلال زمن وجيز ! غنّوا مع شعبان عبد الرحيم " داشغل ناس كبيرة ولازم نعترف " وأستأذن إسلام مؤلّف أغانيه فى تعديل الكوبليه الثانى إلى " ولازم نخرج من حيرتنا ونعرف نختلف "